SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.2 No.1 2021
eISSN 2716-5515 (75-85)

مرثية الوجود في قصص سناء الشعلان نماذج مختارة

The legacy of existence in the stories of Sana Al-Shaalan selected models

M.M. Sana Jabbar Al-Abboudi
Modern Literature، Ministry of Education Education,
Dhi Qar University, Iraq

Ali Hussein Giled
Skins Literature and Modern Criticism,
Dhi Qar University, Iraq
amermustafa066@gmail.com

Published: 29 Jun 2021

To cite this article (APA): Al-Abboudi, M. M. S. J., & Giled, A. H. (2021). مرثية الوجود في قصص سناء الشعلان نماذج مختارة. *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *2*(1), 75-85. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol2.1.5.2021

To link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol2.1.5.2021

ملخص:

تهيمن المشاعر والنوازع النفسية على ذاتنا سواء كان بوعيٍ منّا أو لاوعي، وتؤدي دورًا كبيرًا في التأثير بأفعالنا واقوالنا ، إذ تقوم بالإتيان بالتصرفات على احساسنا و مشاعرنا في صورة موحية لافتة للنظر، ومن هنا ترتبط هذه العواطف والنوازع بمجموعة من الظواهر النفسية الذاتية، بما في ذلك مزاج الشخصية وطَبعها، زد على ذلك إحساس الشخصية وسلوكها وردود أفعالها تظهر بصورة واضحة على أثر ارتباطها بالعالم الخارجي ، والبواعث والمؤثرات التي تستقبلها وتتفاعل معها.

الكلمات المفتاحية : الإحساس ، الوجود ، الذات، الظواهر النفسية، الشخصية

ABSTRACT

Introduction: Feelings and psychological tendencies dominate our self, whether consciously or unconsciously, and play a major role in influencing our actions and sayings, as they perform actions on our feelings and feelings in an eye-catching suggestive form, hence these emotions and tendencies are linked to a range of psychological phenomena، including the mood and character of the character, in addition to the sense of personality and behavior and reactions that are clearly manifested on the impact of its association with the outside world. And the motivations and influences that you receive and interact with. The problem of research: Those who read and meditate on the texts of Sana al-Shaalan find that the alarms adopted in their texts are not only what drives the self to feel and be affected, but also links feelings and feelings to the process of loss to put their tragic characters under the hammer of successive transformations in circumstances and events in a specific temporal and spatial space. Research questions: The most important questions posed by the study is that if the self finds the new starting point for its thoughts and internal tendencies, do events begin to shift increasingly from sense to perception? This study reveals the personal perception of her self and other characters as a result of which.

Keywords: Sensation, existence, Self, Psychological phenomena, Personality

مشكلة البحث :

إن من يطالع ويتأمل في نصوص سناء الشعلان، يجد أن عمليات التنبيه التي اعتمدتها في نصوصها ليست هي فقط ما يدفع الذات للإحساس والتأثر، إنّما تربط الاحاسيس والمشاعر بعملية الفقدان لتضع شخصياتها المأساوية تحت مطرقة التحولات المتتابعة في الظروف والاحداث في فضاء زماني ومكاني محدد .

أسئلة البحث :

أهم الأسئلة التي تطرحها الدراسة هو أنه إذا وجدت الذات المنطلق الجديد لأفكارها ونوازعها الداخلية، فهل تبدأ الأحداث بالتحول بصورة متنامية من الإحساس إلى الإدراك ؟ إذ تكشف هذه الدراسة إدراك الشخصية لذاتها، والشخصيات الأخرى فنتيجة لذلك تنبثق المشاعر والأحاسيس السلبية أو الإيجابية في مكنونات اعماق هذه الشخصية ودواخلها الذاتية.

أهداف واهمية البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في محورين الاول: الاحساس بالوجود عبر دراسة طبيعة الاحساس وتجميع العلاقات العقلية داخل العقل الإنساني، إذ يرتبط الاحساس بمتغيرات الوعي والادراك الذاتي الذي يتحكم به طبيعة الذات الفسيولوجية المتغيرة من حال الى حال آخر ، أما المحور الثاني فقد بحث في انكار الذات للوجود وبيان الدلالات التأويلية التي تتعلق بعمليات التوظيف التي تلجأ إليها الشخصية كميكانزمات دفاعية للرفض والتمرد وعدم تقبل الذات بوصفها آخر.

منهج البحث :

فقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج النفسي التحليلي .

مدخل :

أولا: الإحساس بالوجود

لإلقاء الضوء على كل فرد والاحساس به ،لابد من الكشف عن طبيعة الاحساس وتجميع العلاقات العقلية داخل العقل البشري، إذ يرتبط الاحساس بمتغيرات الادراك والوعي الذاتي الذي يتحكم به العمر الزمني للذات والآخر على حد سواء (الظاهر، 2010)،فيبدأ الفرد على أثر ذلك بالانزياح التلقائي عن نقطة التمحور حول الذات فقط ؛ لأن تركيب العلاقات والتماثل فيما بينها هو وجود موضوعي للأشياء الناتجة عن التمثلات الذهنية ، وطبيعة استيعاب وجود الأشياء وملامستها يظهر بمعناه البدائي غالباً، فعلى المستوى الحسي يبدأ الفرد بالنشاط والاستجابة (سليم ، 2002)، نتيجة للمثير خارجي الذي يشكل التماثل الطبع للمحيط ، فيبادر بمحض أرادته إلى الاندماج أو الرفض.

وقبل أن تكون العلاقة تأثير وتأثر يظهر التباين القيمي واختلاف الرؤية، داخل الوسط الإنساني الواقعي لكل فرد؛ لأن طبيعة الأشياء تشكل مادة لامبالية في الكون ترتفع قيمتها بمستوى علاقة الفرد (الهلالي و لرزق عزيز، 2010).

إذن الوعي بالآخر" البشري وغير البشري"، هو وعي قصدي يأخذ مسارين الأوَّل: يتغذى على المحيط الخاص به، والثاني: يشكل نشاط فعلي انتقاضي " فعل ،ورد فعل" يحاول الفرد **"الذات "** بواسطتها التمرد واثبات الذات (الهلالي و لرزق عزيز، 2010)،وعليه فإنَّ الابتناء الاجتماعي للذات في قصة **"المتوحش"** هي انعكاس للألفة المحدودة والطيعة، التي تبادر وتنحصر في أوساط العبور ،إذ يتعين الإحساس الإرادي الفطري على هيأة نشوء الاحساس بالأشياء واكتشاف هويتها في حياة الإنسان البدائي

وهو جانب من تطور الوعي الذاتي ، وفي ضوء هذا يصف راوي الشعلان ذلك قائلاً:((**لا يشعر بملل ولا بأيِّ شيء آخر قد يكون نقيضاً للملل؛ لأنه بكلِّ بساطة لا يعرف نفوراً من التكرار والروتين اللذين يتلخصان في الأكل والشرب**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016)، يوضح المقطع حالة الرضا والقبول الطوعية، فعدم وجود حافز داخلي ، لتحفيز اللوم داخلياً يخفف العمليات النفسية الشعورية، التي تضع الإنسان في قوقعة مغلقة، وعليه فإن انحسار الشعور يفقد الذات الإحساس بذاتها، أمّا الإحساس بالأشياء، فهو مقتصر على المدرك القادم الأليف، التي تثيره أحدى الحواس، إذ يُعد البوابة الأولى لاستشعار الذات معترك الحياة من بيئتها الواقعية، فيكون إعادة تكوين للذات ؛ لأن الإحساس بالأشياء هو نافذة تطل بطبيعة الحال على الذات أيضاً، ومن هنا يأتي توظيف القاصة للحواس لكونها نوافذ تطل على عالم الذات الخارجي أوّلاً، ثم تؤسس المعادلة العكسية، وطبيعة التوظيف للحواس من لدن الذات القاصة التي جاءت متناسبة مع طبيعة الكائن البشري أول الخليقة في تكوينه وكيفية إحساسه وإدراكه بعالمه المحيط.

فأيّ مثير يقترب من عالمه يضعه أمام انطباع عكسي ،وهنا تنشأ المعادلة العكسية بمعنى "لكل فعل ردة فعل" ، فيصف لنا الراوي ذلك بقوله:((**لقد ألف كلَّ الروائع وكل الأصوات حتّى باتت من أبجديات بيئته الطبيعية، لكن تلك الرائحة التي داهمته ذات الصباح قد أرعبته، وكادت تصيبه بحالة ذعر شديدة تنتهي بالصراخ، والدقّ على الطبول، كانت رائحة مثيرة لم يعرفها من قبل، صمّ على أن يعرف مصدرها، تسلح بحربته ذات النقل الحجري... وتابع مصدر الرائحة، وسرعان ما وجد عدوه**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016)،إذ يضعنا النص أمام ترجمة ذاتية للحواس والإحساس بها، فانفصال حاسة الشم عن ما هو مألوف لديه كان لها الدور الأساسي في أثارته؛ لأنه يدرك تماماً الروائح المعتادة، ومستقبلات عملية الاستنشاق عبر حاسة الشم التي أثارت ذلك التفاعل المرسل تلقائيا إلى الدماغ، والذي بدوره أحدث تمييزاً بما هو مألوف ومختلف.

لكن الراوي يضعنا في الوقت ذاته أمام تعارض لنبرة الخطاب، فاختلاف الوصف في النصين ، وعملية تصوير احساس الذات بذاتها وحواسها ونشوء الانطباع والسلوك المغاير في مواجهة العدو نعلله بالمعالجة الآتية: إن جهل

الإنسان بذاته يعود إلى سبب رئيسي هو افتقار الوعي الذاتي نتيجة لما خلفه الانغلاق والانعزال في العالم الخاص به ،إذ لا يوجد جنس مشابه، وعلى أساس ذلك انحسرت القدرة على الإحساس بذاته وأهميتها، فبات لا يشعر إلا في حال وجود خطر خارجي يقتحم محيطه المألوف.

إذن فأوَّل المعطيات التي افتقدها هي عدم اكتشافه "الذات" التي لا يتم اكتشافها إلاَّ بوجود الآخر، ومن هنا بدأ إحساسه بالآخر ف ((**كان حيواناً كما توقع، ولكنه حيوان لم يره من قبل له نفس قامته وطوله، شعره أطول، وأعضاؤه أدق، وله بروز غريب في الصدر، لعلَّه مصاب بمرض ما، وعلى بصوته على الحيوان الجديد بصراخه ونظراته المتصدية، لكن الحيوان الغريب لم يستجب، وضحك**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016)، إذ يوضح النص طبيعة جريان الحياة البدائية التي تطلب من الذات مواجهة الآخر المعترض للحياة، فالوجود كان متوقع لكلِّ دخيل لكن هذه المرة شعر أنه مشابه له مختلف في الهيأة والسلوك، ونظراً لأن الآخر في النص عنصر أنثوي لم تغفل الشعلان من تصوير الصفات الأنثوية ،فعكست طابع الآخر في الاستجابة، وذلك لوجود فوارق بين الذكر والأنثى حتَّى في الغضب وطريق التعبير عنه، وبهذا تتجه لوجهة النظر التي ذهب اليها المنظرون في تحليلهم للميل إلى الغضب بقولهم: ((إن النساء بطبيعتهن يعبِّرنَّ عن جميع انفعالاتهن فيما عدا انفعال الغضب ... ولكن تعبيرهن عن الغضب بشكل صريح يمكن تقييمه على أنه لا يتفق وطبيعة الأنثى، لذا فإن النساء لا يتناولن مطلقاً فكرة الغضب مهما كان موضوع الغضب)) (فايد، 2006).

فاختلاف الطبيعة بين كلا الجنسين دفع المنظرون إلى ابعاد صفة الغضب والتصاقها بالمرأة ، وإن حدث ذلك فيُعد خروج عن الطبيعة المألوفة لها، وبهذا تمكنت الشعلان من تأكيد ما تناوله البعض وتحديدهم لطبيعة المرأة؛ لأن سلوك الأنثى منافٍ مع كونها منبع الرقة والعذوبة، وبهذا تجسِّد داخل أنوثتها إحساساً وسلوكاً مغايراً كان محفزاً للذات إلى الاقتراب منها والإحساس بوجودها، فتنطلق الذات لاكتشاف ذاتها ،ووجود الشريك له دور في هذه العملية ،فضلاً عن طبيعة التكوين لبداية الحياة الاجتماعية التي تعدُّ ((أهم جانب في شخصية الواحد منا، فمن المجتمع ونواته "الأسرة" نتعلم في البداية كلَّ شيءٍ، حتَّى الاسم الذي يحمله الإنسان هو من اطلقه المجتمع عليه)) (عبد الكريم، 2007)، فأهمية الحياة الاجتماعية تكمن في كونها بواعث لاكتشاف الذوات عبر الآخر ولارتباطه بوجوده، وأهميته في عملية التناسل، فما منحته العلاقة جعلت الذات تكتشف حقيقة وجودها، فيصف الراوي ذلك بقوله: ((**إن اسمه رجلاً، وأن اسمها امرأة وأحياناً كيلا، وأن اسم الحيوانين الصغيرين كيكو وهوهو، ثم بات يشعر بشيء يسمى زمناً طويلاً، إذا ما غابت كيلا ... وكما كان مشتاقاً يعرف المزيد عن كيلا وعن نفسه**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016)، يوضح النص أحساس الذات" الرجل" بمحيطه ومكامن حياته الخاصة، والتي تنتج العلاقة الطبيعية للحياة البشرية بدأ بالوعي في إرشاد الذات لاكتشاف ذاتها، فكلَّما ازدادت سعة اكتشافه ازدادت حاجته لوجود عائلة؛ لكونهم آخرين ليرتقي بهم مدرج الحياة، وبهذا يبدأ بالعزوف عن العالم الرتيب لوجود المسوغات المتمثلة "بكيلا" وإحساسه بالعاطفة تجاهها كان مدعاه للنهوض داخلياً والاستشعار ثم البحث عن كلمة تعبِّر عن إحساسه بوجودها أوَّلاً وحبه لها ثانياً فيقول الراوي : ((**كاد يخترع كلمة تعبِّر لكيلا**

عن أشواقه، وعن فرحته بها، واعتياده على رائحتها، وولهه بأعضائها الغريبة)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016).

وضمن تحديد التسميات وجد الذات" الرجل" إحساسه غير كافٍ بل يحتاج إلى تمثيل لغوي للتعبير عن مكامن الرغبة ،ومن هنا تمكن ((الإنسان من منح الأشياء والأفعال والكائنات تسميات تتنوع من حالات وجودها)) (بنكراد، 2008)، أيّ كلاً بحسب جنسه بعدِّه أصلاً لوجوده، ثُمَّ أرفق لها أسماء وصفات لكلِّ نوع، لقد انتجت الشعلان نصّاً لتعيد القارئ إلى بدايات وجود الإحساس لدى الإنسان، وتكوين الوعي البدائي لديه ،إضافة إلى اعتمادها على تفسير النظريات فجاء النصُّ كأنه تفسير اللاحق بالسابق.

أيّ أن النصَّ هو تصوير لإحساس الإنسان وسلوكه ورد افعاله، التي تتدرج على أثر ارتباطه بالعالم الخارجي ، والبواعث والمنبهات التي يستقبلها ويحتك معها.

إن من يطالع ويبحر في نصوص الشعلان، يجد دروساً وعبراً كثيرة كانت انعكاساً لوجهة نظر الذات القاصة، إنَّما عمليات التنبيه التي اعتمدتها في النصِّ السابق ليست هي فقط ما يدفع الذات للإحساس بالآخر، إنّما فقدان وجود الشيء له حافز لإحساس الذات بمنبه داخلي ومدى أهميته ، وهذا ما يستشفه القارئ في قصة **"صديقي العزيز"** التي تربط فيها الشعلان عملية الإحساس بعملية الفقدان لتضع أبطالها تحت مطرقة التحولات أحداثاً وظروفاً، فحين تجد الذات المسار الجديد لأفكارها، يأتي للنقد الذاتي لتحويل سيرورة الأحداث، فالإحساس بالنقد بدأ بوصفه محاسبة للنفس بقولها: ((**بالتأكيد ليس لموقفي من مشاعره أيّ علاقة باختفائه فهو قوي، بلا يُخشى عليه لنقل إنه أقوى رجل رأيته في حياتي، يستطيع ان يتحمَّل كلَّ العذاب دون أن ينبئ شفة، أو تنهيدة احتياج**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016)، يجد القارئ في النصِّ تبريراً لموقف الذات من الآخر وانكاراً واضحاً لإحساسه بالألم ،والرفض لإبعاد اللوم عن ذاتها، فما تقدِّمه من توصيفات هي صفات ناتجة عن الاحساس بالقوة التي يحظى بها، إما غيابه فهو تنكيل لذاتها بعدم إحساسها بما بين يدها إلاَّ في حال الغياب ،فتصف راوية الشعلان ذلك بقولها: ((**ولكني أحتاج إليه، احتاج إلى عونه، إلى مساعدته، أحتاج إلى كلماته تضع حلولاً لأشواقي، أحتاجه ليؤازرني وأنا استقبل حبّاً جديداً**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016)، يوضح النص صعوبة استمرار بطلة القصة في حياتها من دون الآخر لكنها تربط إحساسها بالآخر بالحاجات المادية والمعنوية التي لها دور في إعادة تشكيل حياتها أثر تخلخل مادي أو عاطفي لما يمثله الآخر من أمان وسند لهذا لم تألف اختفاءه المفاجئ، فالعلاقة إذن تسير من وجهة نظرها في الإطار النفعي؛ لذلك تعيش بطلة الشعلان شعورين متناقضين في آن واحد الأنانية وحب الآخر، وعلى أساس ذلك تنحى مرة إلى الإحساس بالوجود، وأخرى إلى أنكار الوجود.

توضح الشعلان للقارئ أن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة تكاملية فلا معنى للحياة دون الآخر، وبهذا تذهب إلى التعبير عن تلك الأهمية على لسان راويتها التي لم تستشعر الإحساس الذي دفعها إلى البحث عن

الآخر إلا بعد تلاشي الأنانية التي شاءت الأقدار إلى تغييرها ف ((**هذه المرة بالذات ودون سابق انذار وبعيداً عن أنانيتها المفرطة، وشذوذاً عن كلِّ رغباتها التي تدور حول حاجاتها إلى مساعدته**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016) إذ بات وجود الآخر في حياتها له لمسة خاصة وهذا طبيعي ؛ لأن الكثير منا لا يعرف قيمة الأشياء حتَّى يفقدها، وإن التشبث بالرؤيا لدى البعض يحجب أيضا الكثير من الأشياء التي يتمُّ إدراكها، الأمر الذي جعل الذات تعيش حالة فوضوية وبأدق تعبير الفوضى العقلية، وما بين الإحساس والانكار نجدها تحاول كسر هذا الإحساس ،إذ ترتأي إلى تتويج أنانيتها بقولها: ((**أين هو صديقي العزيز؟ تهزُّ كتفيها غير مبالية، لكن أينما أراد ... قالت بتأفف وضيق، لكن ربَّما تشرب إلى نفسها، وقال "وقالت" ... ولكن أين هو؟**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016).

يوضح النص اضطراب احاسيس الذات تجاه اختفاء الآخر فبين الاحساس بأهميته وأنكار تلك الأهمية يطغى الشعور بالنقص فيولد لديها التساؤل أين هو؟، وفي دوامة الفوضى العقلية التي تجتاح الذات، نجد التجاوز الملحوظ من الذات القاصة لتحويل مسار السرد.

ففي الوقت الذي كانت تعجز فيه راويتها عن إثبات حقيقة إحساسها الكامن تجاه الآخر ترسلها في رحلة بعيدة وبدون وعي لتضعها أمام حقيقة علاقتها بالآخر فهو ((**ملاكها الحارس في كلِّ الأوقات ... قالت وهي تنزلق في الكرسي المجاور متعبة جائعة ولكن تملك يقيناً يقول: إن الحبيب المنتظر هو صديقها: لا ... هو حبيبي ... أقصد ... هو حبيبي العزيز ... وهو آن**)) (الشعلان، الجدار الزجاجي، 2016).

فعلى نقيض ما كانت تحاول اخفاءه بالنبرة المتعالية هي تعلم من يكون ومدى أهمية وجوده وحضوره فخاصية التمركز الذاتي للآخر حقيقة وأن حاولت تقويض صورته، وانسجاماً مع النصِّ السابق تقدِّم القاصة في قصة "**عالم البلورات الزجاجية**" استعادة لتصور مجرد في أهمية الآخرين والإحساس بوجودهم واختفائهم المفاجئ عن الحياة، إذ إن الإحساس الفطري المتولد داخل الذات هو المحفز والباعث لتساؤلاتها فيصف لنا الراوي ذلك بقوله: ((**كان رحيل جده هو أول رحيل يعرفه عندما غاب الجدُّ سأل عنه فقيل: إنه قد ذهب إلى العالم الثاني، ونسي بسبب براءة الطفولة أن يسأل ما هو العالم الاوّل، وعندما مات أبو رجب سمع عمَّه وبعض رجال الحي يقولون ... ذهب إلى الجحيم الحمرا، وعندما ماتت أخته عبلة... وتساءل عندها ما حاجة الربّ إلى عبلة التي لا تملك في دنياها أكثر من عناء تربية أبناءها؟**)) (الشعلان، الكابوس، 2006).

يوضح النص عملية التحفيز للبواعث التي تثير التساؤلات، لتحقيق المعرفة العقلية ، فإذا كانت المعرفة تبدأ بشكلها الجزئي ، فإن السبب في ذلك يعود إلى المرحلة العمرية التي لها دور في الاحساس بالآخرين عن طريق اختفاء الصورة البصرية والتي تعد المنبه للنشاط البدائي، لمعرفة أين ذهب الآخرون؟؛ ولأن المستوى الإدراكي لم يكن مكتملاً، لا نجد الذات تدخل في أطار التعمق المعرفي ، ومعرفة حقيقة السر الإلهي خلف اختفاء البعض، وعلى هذا الأساس تربط الشعلان خيوط القصة بين الإحساس والإدراك الكلي الذي يحدث للإنسان ؛ لأن

الإحساس هو أدنى جزء في عملية الإدراك، فجاء سرد الأحداث بشكل تتابعي من الإحساس إلى الإدراك فيصف الراوي ذلك بقوله: ((**عندما كبر عرف أن هناك آلاف العوالم والعوالم، بعضها نعيش فيه والبعض الآخر يعيش فينا**)) (الشعلان، الكابوس، 2006).

إن درجة الإحساس لدى الذات تتحدد بالعمر، فتقدم العمر يعني الانتقال التلقائي لمرحلة الإدراك؛ لأن طبيعة الإحساس تتسم بالوجود غير المادي أي((ندركه ونعيه لكننا لا نستطيع تفسيره وتحليله، فهو لا يتسم بخواص وخصائل المادة، أيّ ليس له وزن أو حجم أو كثافة كما ليس له أمواج او ذبذبات أو ترددات ... الإحساس في الحقيقة لا يلمسه لا وعي الإنسان وإدراكه ويعتبِر المعنى الحقيقي للحياة بل هو أساس وجودها)) (الحسيني، 2010)، وعلى هذا الأساس تكمن العلاقة بين الإنسان ،والموجودات التي تربط عملية الإحساس بمدى إدراك الشخص لذاته ،والآخرين ،فتنتج الأحاسيس السلبية أو الإيجابية التي تنبثق داخل الإنسان.

ثانياً: انكار الوجود

الانكار: هو إحدى عمليات التوظيف التي يلجأ إليها الفرد كميكانزمات دفاعية للرفض وعدم تقبل الذات بوصفها آخر، وهو بذلك يبتعد عن مبدأ التسامي، ومن هنا يكمن الفرق الجوهري بين انكار الوجود وانكار الذات، وبعد أن تمَّ توضيح الأوَّل يمكننا القول في الأخير أنه المرحلة التي تبتعد فيها الذات عن النرجسية فتصل الذات في العلو والسمو لتفنيد ذاتها خدمة للآخرين فلا تطلب الذات أيَّ مقابل، وفي ضوء ما تقدَّم تكشف لنا الشعلان عن موضوع الانكار، وهي وقفة جديرة بالبحث والمتابعة بوصفها الشق الثاني من محور الإحساس.

إن ما استخلصه البحث يسير على وفق بعدين اثنين يرتبط الأوَّل بالذات الإنسانية، أمَّا المحور الثاني: يرتبط بالذات الإلهية المقدسة، وما تقدِّم ذكره اعتمدنا فيه على محل التقديم بحسب الترتيب الزمني لما تمَّ انتاجه خلال فترة زمنية متباعدة ليس فيه انكار أو تفضيل للخلق على الذات المقدسة.

ومن هذا المنطلق يمكننا الدخول في حيثيات الموضوع ، حيث تقدم لنا الشعلان في المحور الاوَّل نموذجا لإنكار وجود الذات ففي قصة "**تيتا**" يتخذ الآخر الانكار هروباً واخفاء للحقيقية، فمسألة التفوق التي حظيت بها "الذات" من العامة وشدة الاقبال سببت قلقاً نفسياً، وللخروج "**الذات**" من هذه الحقيقة ، بدأ بالتبرير تعويضاً عن حالة النقص فيصف الراوي ذلك بقوله: ((**أضاعت جهد سنوات، وكانت الطامة عندما وجد بعض مواطنيه يلجؤون أيضاً إلى أعشابها اللعينة، ليعترف أنه لا يغار منها، ولا يكره أن تقدِّم المساعدة للمرضى مقابل الزهيد من المال ...، ولكنها تتحداه بنظرتها العميقة، يرى جبروت الدنيا في بريق عينيها، عندما تتركه محتجاً، وتستدير قافلة إلى مضارب قومها ... ويخمِّن أنها تدلي لسانها ساخرة منه ...**)) (الشعلان، قافلة العطش، 2006)، إذ يشكل الاعتراف مجالاً للتبرير ، لما حظيت به من دور مهم ، فيبدأ بالإيعاز إلى ذاته بالابتعاد عن النرجسية، فضلاً عن استشعر الخوف والقلق الذي بدأ يحطم وجوده، فهو يعي أهمية وجوده الذاتي وطور التلاشي

الذي يمر به، ومن هنا أصبح ينكر ويتجاهل تفوق "**الآخر**" لإخفاء صراعه الداخلي، إن استعمال الحيل الدفاعية من قبل فرويد هو للحد من الارباك النفسي لتجنب الصدام مع الواقع.

أمّا ما حدث من تطوَّر على يدِّ ابنته (آنا فرويد) فيما بعد ،هو توسيع للمفهوم حيث استخلصت في دراسة مفصلة عشرة أشكال يتخذها الفرد كآليات دفاعية ،وإن أيّ اسراف في استعمالها له مردود سلبي على الفرد الذي بدوره يؤدي إلى إنكار الواقع وتغير أفكار الفرد (سهرابي، 2015).

فما تستعمله "**الذات**" في قصة الشعلان له مردود سلبي في تحرير ذاته من الضغوط النفسية بشكل مؤقت، وقد أنتج لديه حالة من التحقير انعكست على نظرته فيصف لنا الراوي بداية تلك النظرة بقوله: ((**يكره أنها لطيفة وذات ابتسامة عريضة تظهر أسنانها اللامعة، يكره أن عليه أن يبذل جهداً جباراً لكي يحافظ على كرمه المزعوم، ولولا ذلك لكان يحمل شعوراً مختلفاً لا يجرؤ على أن يحدث نفسه به**)) (الشعلان، قافلة العطش، 2006) فطريقة الافراط في استقطاب "**الذات**" للآليات الدفاعية سعياً منه لاستبعاد صورتها إلى منطقة اللاشعور أصابه باضطراب شخصي ، نتيجة لاستبداله القلق الذاتي بقلق أكبر، وهو إحساسه بالنزعة العدوانية التي يخفيها بعملية الاسقاط، يقول الراوي ((**ولكن شيئاً فيها يستفزه، أشد ما يستفزه أنها تولي هاربة**)) (الشعلان، قافلة العطش، 2006)، فينسب إليها الصفات غير المرغوبة للحدِّ من نوازعه السلبية، ولعلَّ اختفاء وجودها العيني هو ما حفَّز "**الذات**" على إنكار وجود "**الآخر**"، وحين نمعن النظر في النص جيداً نجد أن الشعلان وضعت أبطالها في منعطف واحد فكلاهما يمارس الهروب بطريقته الخاصة، وهروب "**الذات**" هو جانب من الحيل الدفاعية التي اعتمدها فرويد، أمّا هروب "**الآخر**" فنرى فيه أنه يقترب من الفلسفة الوجودية التي دعا إليها سارتر والتي رأى أنها تسير على مبدأ واحد هو ((أن لا نعارض السلطة القائمة، ولا نقاوم من هم أقوى منا ولا ندخل فيما لا يعنينا وما ليس من اختصاصنا ...)) (سارتر، 1964)، فجعل لكلِّ شيء قاعدة وأساس، ومن هنا يمثل لنا هروب "**الذات**" هروباً اختيارياً ، لنمط معين تنتهجه "**الذات**"؛ لأن الإنسان يوجد ككائن بشري، ثُمَّ يحتك بالعالم، وهو أيضاً من يختار من يكون، وإن القواعد التي أوعزها سارتر لها دور في نظرة الذات وهروبها، ،ونوبة القلق التي انتابت "**الذات**" وابعدتها عن المواجهة، لم تبعدها عن استشعار المسؤولية، وكإثبات لوجودها ما كان منها إلاَّ أن تبعد الفكرة المعلقة فتصف الراوية ذلك بقولها: ((**عندما أدركت تيتا أنها في حاجة والمرأة التي تضع مولودها إلى مساعدة الطبيب الأوربي الأشقر**)) (الشعلان، قافلة العطش، 2006).

إذ تلزم "**الذات**" نفسها بحقيقة وجود الاختصاص البديل الذي هو أكثر عناية ودقة للحالة التي بين يديها ، فتستعين بـ"**الآخر**"، وتتخلص من التفرد وحب الأنا، حيث إن تركيز الفرد على ذاته، يشكل حالة من النرجسية ،وطبيعة الوجود تبنى على النقصان ،وهذا ما أشار إليه (لاكان) وهي أن الفرد ((كلَّما اقترب من هذا النقصان لوجوده، كلَّما فقد البدائل التي كان يتماهى بها (هي في الأساس نرجسية)، ويعتمدها في علاقته مع الآخر، ويكشف أن التركيز على ذاته لم يكن إلاَّ تماهياً نرجسياً يسقط كالأقنعة الواحد تلو الآخر، مما كان يضلله في

نظرته لنفسه وتغيب عنه حقيقة إدراك ذاته)) (حب الله، 2004)، فيمكن للفرد التفتيش عن وجوده انطلاقاً من الفراغ وعلى هذا الأساس يمكن استبدال الانكار بإثبات الوجود.

وضمن دائرة الانكار تناقش الشعلان في قصة **"يوميات إنسان مهزوم"** المحور الثاني: المتمثل بإنكار وجود الذات الإلهية، المترتب من موقف عقلي لأزمات" **الذات"** النفسية، يبدأ الاعتراف على لسان الراوي بقوله: ((**انكرت فضل الله على وزعمت أن رزقي إنَّما هو من صنع يدي ومن بنات اجتهادي وعظمة نفسي، وصغرت في أعين الناس وكتبت علي الذلَّة وما باليت**)) (الشعلان، الذي سرق النجمة، 2006)، إن ارتفاع الانا العليا لدى **"الذات"** لم يزيل المردودات السلبية التي خلفتها أزمة النفس، فسلبية " **الذات"** تجسَّدت بطريقة تلقي الفكرة وقوة الرفض العقلي ،والإصرار على اقناع ذاته ،وكيانه بإبعاد الميل العاطفي عنه، ولتحقيق سعادة توصله إلى فكرة مفادها بأنه لا يحتاج إلى وجود الله في حياته، إن إنكار **"الذات"** لوجود الذات الإلهية هو جانب مهم من الهروب العقلي، والدليل على ذلك ما أشارت إليه الشعلان على لسان راويها ((**أنكرت فضل الله علي**)) (الشعلان، الذي سرق النجمة، 2006)، ولكي تمسك " **الذات"** بموقفها العقلي شرعت إلى التمرد ؛بوصفه وسيلة دفاعية لإخراج ذاتها من دائرة الانظمة والقوانين الإلهية ،وتأكيداً لإنكار الذات الله المقدسة، فيصف الراوي ذلك بقوله: ((**قررت أن أمنع الأرض والإنسان وما هبتني السماء، فمنعت الزكاة، وامسكت يدي عن الصدقات وما عاد قلبي يدقُّ لمسكين أو يلين ليتيم أو يحثُّ لسؤال محتاج، فقست نفسي، وتحجَّر قلبي .. ما نالني أمر الباذلين أو حبّ الله ـ عزَّ وجل ـ للمحسنين وما باليت بذلك**)) (الشعلان، الذي سرق النجمة، 2006).

لقد وضعت الشعلان بطلها بحالة من القلق النفسي ،والتي على أثرها نزعت **"الذات"** نحو الأنانية الفردية، فقسوة القلب، وعدم الاكتراث بالآخرين، هو طريقة للتعبير عن الإنكار، لوجود حقوق للآخرين وحقوق للدين على حد سواء، ومن هذا المنطلق تعكس الشعلان طبيعة مراحل الإلحاد التي تمرُّ بها الذات؛ لأن المراحل تختلف، فضلاً عن تغيير المعنى أيضاً، وإن المراحل التي يصل بها الملحد إلى تفكيره السلبي هي((اليقين التام بعدم وجود فكرة الإله! ولذلك هو ينزح للراحة وتناول الكحوليات والسجائر ولا مانع من علاقات عابرة محبة مع الجنس الآخر)) (برنابا، 2013)، فلا يحاسب ذاته لعدم وجود فكرة الله ،وحسابه ،ومن هنا تتوالى المراحل التي تجسِّدها الشعلان على لسان راويها وصولاً بـ**"الذات"** إلى المرحلة الأهم المتمثلة بالآتي: ((**أهمها توفير المال والوقت، وعدم بذلهما إلاّ في متعة جسد أو تحقيق مصلحة، فلعنني الناس ...، فقد قدت حملة طاحنة لتجريد حياتي من العلاقات غير المفيدة، وبدأت بوالديَّ ...، فألقيت بهما في أوَّل دار مسنين قابلتها في طريقي**)) (الشعلان، الذي سرق النجمة، 2006).

إذ تصل "الذات" إلى القولبة الذاتية دون رادع وجداني يعيق أفكارها؛ لأن الإحساس بعدم وجود الله بوصفه محركاً شكل لديه مساحة للابتعاد عن الأفكار الطبيعية ،فشرع بالتفكير السلبي تلبيتاً لنوازعه الفكرية ،فيصف الراوي حالته بأنه بدأ ((**يشرب حدّ الثمالة من الربا والزنا والكذب والقتل والظلم والسرقة والافتراء ... فما كنت**

لأبالي بغير مالي ورصيدي في المصرف، وقائمة ممتلكاتي، وأماكن مدخراتي وعقاراتي، وعناوين أصدقاء السوء وشركاء السهر والسكر والعربدة واللهو)) (الشعلان، الذي سرق النجمة، 2006)، إذ يوضح النص طبيعة التفكير العقلي وما تبيحه الذات لنفسها، وإن ما يراه إيجابياً هو سلبي بالأساس، والفكرة والمقصدية التي تحاول الشعلان إيصاله للقارئ، هو إن طبيعة الإنكار تبدأ من داخل الذات مروراً بالفكر، وما تم اعتماده في المحور الثاني: هو لإثبات حقيقة المراحل التي يمرُّ بها الملحد ليصل إلى المطاف الأخير لإنكار وجود الخالق، ومن هنا يمكننا القول إن مراحل الإلحاد تختلف والمعنى يختلف أيضاً على مرِّ العصور بحسب فكر الفرد وآلية استقطابه لأفكار الإلحاد، وهذا ما نجده في شخصية (فاليه) الفرنسي (الذي أعدم بتهمة الإلحاد ولم يكن ملحداً حقيقياً، فهو رغم انكاره للدين يعتقد أنه لا يمكن لأي إنسان أن يكون عاقلاً أو يشك في وجود الله)) (عوض، 1997) وهذا تأكيد على أن معنى الإلحاد يختلف وكل ملحدٍ له اتجاهات ورؤى تختلف عن الآخر وإن كان يجمعهما كلمة واحدة هي الإلحاد (عوض، 1997).

الخاتمة:

في ختام دراستنا هذه نقدم للقارئ أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، ومنها:

-أظهرت الدراسة إن طبيعة الاحتكاك الناتجة في علاقة الفرد بالأشياء ،لها الدور الأساسي بالإحساس بالموجودات ، وما يترتب عليه من قبول ورفض وطبيعة العلاقة بينهما.

- يعد تصاعد النمو العمري للفرد ،البوابة المطلة على الوعي الذاتي واستيعاب الموجودات المحيطة به، والمحدد لحدود اندماجه، فطبيعة الإنسان الذاتية تسير في جانبين: فطرية، وفعل ورد فعل.

-إن الحقل التواصلي بين" الذات والآخر"، هو المحدد لطبيعة إحساس الذات بالآخر، أو إنكاره، وعليه فإن الحالة الشعورية التي تتحدد داخل الفرد ، وما يترتب عليها من تغييرات مفاجئة لها الدور في تحويل مسار الشعور.

_ إن تمركز الذات في إطار الأنا العليا يضعها في الإطار النرجسية وعدم الاهتمام بطبيعة العلاقات الناتجة؛ لأنها تتجاوز التفكير العقلي بالأشياء والموجودات، وهذا نتيجة لوجهة ذهنية خاطئة في حدود التفكير الخاصة بها.

المصادر والمراجع

الظاهر قحطان احمد. (2010). اكتشاف الذات (المجلد1) . الاردن . دار وائل.

بكار عبد الكريم. (2007). *اكتشاف الذات* (المجلد 3). الاردن: دار الاعلام.

تورج سهرابي. (2 8، 2015). آليات الدفاع النفسية لدى بشار بن برد. *ديوان العرب*.

تومس برنابا. (19 5، 2013). *الحوار المتمدن*. تم الاسترداد من التدرج السباعي نحو الإلحاد الواعي.

جان بول سارتر. (1964). *الوجودية مذهب لساني* (المجلد 1).

حسن فايد. (2006). *قراءات في علم النفس* (المجلد 1). القاهرة: طيبة للنشر والتوزيع.

رمسيس عوض. (1997). *الإلحاد في الغرب* (المجلد 1). القاهرة: سينا.

سعيد بنكراد. (2008). *السرد الروائي وتجربة المعنى* (المجلد 1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

سناء كامل الشعلان. (2006). *الذي سرق النجمة* (المجلد 1). عمان – الاردن: امواج للنشر والتوزيع.

سناء كامل الشعلان. (2006). *الكابوس* (المجلد 1). الشارقة: دار الثقافة والاعلام.

سناء كامل الشعلان. (2006). *الكابوس* (المجلد 1). الشارقة: دار الثقافة والاعلام.

سناء كامل الشعلان. (2006). *قافلة العطش* (المجلد 1). الاردن–عمان: نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي.

سناء كامل الشعلان. (2016). *الجدار الزجاجي* (المجلد 1). عمان – الأردن: امواج للنشر والتوزيع.

عدنان حب الله. (2004). *التحليل النفسي للرجولة والانوثة* (المجلد 1). بيروت: دار الفارابي.

قحطان احمد الظاهر. (2010). *مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق* (المجلد 1). الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.

محمد الهلالي، و لرزق عزيز. (2010). *الغير دفاتر فلسفية* (المجلد 1). الدار البيضاء – المغرب: دار توبقال للنشر.

محمد مسلم الحسيني. (12 4، 2010). بواعث الاحساس عن الانسان. *ديوان العرب*.

مريم سليم . (2002). *علم تكوين المعرفة* (المجلد 1). بيروت – لبنان: دار النهضة **العربية**.